مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل إلكتروني

التجديد المقاصدي في دراسة السيرة النبوية وحتمية ربطها بتحديات الواقع

Maqasid renewal in the study of the Prophet's biography and the inevitability of linking it to the challenges of reality

د حسن الصادق أحمد المرخي
قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية صرمان - جامعة صبراتة
hsnalsadk99@yahoo.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

التجديد المقاصدي في دراسة السيرة النبوية وحتمية ربطها بتحديات الواقع

Maqasid renewal in the study of the Prophet's biography and the inevitability of linking it to the challenges of reality

د. حسن الصادق أحمد المرخي*

ملخص:

لما كانت سيرته ﷺ تتجدد من خلال دراستها معان جليلة، ومقاصد رفيعة يجد لها الدارس ما يناسبه في زمانه ومكانه من حلول وهدايات وإرشادات عظيمة– تجلّت أهمية دراسة السيرة النبوية على هذا الوجه التي هي السبيل إلى فهم شخصية الرسول ﷺ، من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أنه ﷺ لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته، ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله بوحي من عنده.

فجاء هذا البحث ليضع بين يدي الإنسان صورة للمثل الأعلى من خلال مقاصد جليلة ومفاهيم عظيمة في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة، يتمسك به ويحذو حذوه، فقد جعل الله تعالى الرسول محمدًا ﷺ قدوة للإنسانية كلها، حيث قال سبحانه: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ** فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:21).

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية – فقه المقاصد – الإسلام – المجتمع.

Objective renewal in the study of the Prophet's biography and the inevitability of linking it to the challenges of reality

Abstracr:

Since his biography, may God's prayers and peace be upon him, is renewed through its study with great meanings and lofty purposes, for which the student finds what suits him in his time and place in terms of great solutions, gifts and guidance - the importance of studying the Prophet's biography in this way became evident, which is the way to understand the personality of the Messenger, may God bless him and grant him peace, through his life and circumstances. In which he lived, to make sure that he, may God's prayers and peace be upon him, was not just a genius who marked his genius, but before that he was a messenger who was supported by God with revelation from him, so this research came to put in the hands of man a picture of the ideal in every matter of virtuous life, stick to it and follow the example Following his example, God Almighty made the Messenger Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, a role model for all humanity, as He, Glory be to Him, said: (Indeed, you have in the Messenger of God a good example for those who hope in God and the Last Day) (Al-Ahzab: 21).

***Keywords**: Prophetic biography - jurisprudence of objectives - Islam - society.*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه المقتدين.

إن دراسة السيرة النبوية هي المحور الأساسي وقطب الرّحي التي تدور عليه كل المعارف الإسلامية والتعاليم الشرعية، وهي المنهج التطبيقي لمثاليّة الوحي الإلهي المتمثل في حياة سيرته صلى الله

* دكتوراه الدراسات الإسلامية
محاضر بقسم الدراسات الإسلامية كلية التربية صرمان- جامعة صبراتة
hsnalsadk99@yahoo.com

عليه وسلم، فقد كانت حركاته وسكناته على أعلى مثال في تجسيد الحقيقة الإسلامية، فهو القرآن الحي الذي يُضرب به أرفع نموذج وأتم صورة.

وإن من أهم ما يجعل سيرته ﷺ وافية أن حياته شاملة لكل النواحي الإنسانية والاجتماعية التي توجد في الإنسان من حيث أنه فرد مستقل بذاته أو من حيث أنه عضو فعال في المجتمع.

فإذا سيرته ما هي إلا مشكاة تشع من زجاجة ذاته الروحية أنوار مصباح أخلاقه العظيمة والربانية التي تتوقد، نورها من شجرة الوحي الإلهي التي لا تنضب مددها ولا تنقطع شعاعها فهو كما أخبرت السيدة عائشة في توصيفه **(كان خلقه القرآن)**، فالتعاليم القرآنية في حقيقتها ومجموعها متجسدة في حياته وسيرته ﷺ.

أهمية دراسة السيرة النبوية بأسلوب مُتجدد:

ولما كان كتاب الله صالح لكل زمان ومكان كانت سيرته على هذا النحو من الأهمية حيث يتجدد من خلال دراستها معان جليلة ومقاصد رفيعة يجد لها الدارس ما يناسب في زمانه ومكانه؛ لأنها تحمل هذه السيرة جذوة التجديد القرآني **(...الذي لا يخلق من كثرة الترداد ولا تنقضي عجائبه ...)**،[1] فالتجديد عمق في الفِكَرِ، وبُعد في النظر، وجودة في العبر يتناسب في معانيه وبعده المقاصدي مع زمننا الراهن حيث يُحقق إدراكاً واعياً بالسيرة النبوية، ويُمكننا من أدوات استثمارها في هذا الواقع المتحرك المتجدد للأمة من أجل الاسترشاد به في مواجهة ما يحل بنا من تحديات معاصرة.

أهداف هذه الدراسة:

1. فهم شخصية الرسول ﷺ، من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أنه ﷺ لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته، ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله بوحي من عنده.
2. فهم كتاب الله وتذوق روحه ومقاصده، فكثير من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ.
3. تكوين صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه، فهي تكوّن لدى دارسها أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية، سواء ما كان منها متعلقًا بالعقيدة أو الأحكام أو الأخلاق.
4. الارتباط بنموذج حي عن طرائق التربية والتعليم، يستفيد منه المعلم والداعية المسلم. فقد كان الرسول محمد ﷺ معلمًا ناجحًا ومربيًا فاضلاً، لم يألُ جهدًا في تلمس أجدى الطرق الصالحة في التربية والتعليم، خلال مختلف مراحل دعوته.
5. التعرّف على جيل الصحابة الفريد، الذي كان صدى للقرآن، وكان التطبيق العملي لحكم الله أمرًا ونهيًا.

خطة البحث:

سأتناول في هذا البحث بشكل مقاصدي من خلال النظرة المتجددة في فهم السيرة النبوية والإقتداء بها، لا سيما في مجال التعامل مع الواقع، وهذه الدراسة أتت هيكلتها على ثلاثة محاور وهي على النحو التالي:

- المحور الأول: مفهوم التجديد المقاصدي.
- المحور الثاني مفهوم مصطلح السيرة والدلالات المقاصدية.
- المحور الثالث أهم المفاهيم المقاصدية في دراسة السيرة النبوية.

المحور الأول: مفهوم التجديد المقاصدي

أولا: مفهوم التجديد

كما جرت عليه العادة العلمية في توضيح دلالة المصطلحات التي يدور عليها مدار البحث وبالأخص من الوجه اللغوي أولا، ومن ثم الاصطلاحي ثانيا، فإن مصطلح التجديد ليس بمعزل عن هذه الأهمية البيانية فإنه لطالما أشغل عقول المفكرين قديما وحديثا، فهو من أهم القضايا الفكرية، وبالأخص إذا كان اقترانه بالجانب الشرعي أو بالأحرى بزمن انبثاق المنهج الشرعي وهو عصر النبوة والرسالة، فقبل الشروع في النظرة التجديدية في هذه المرحلة المهمة في حياة التاريخ الإنساني ينبغي تحديد المفهوم أولا من حيث المعنى اللغوي.

فالتجديد في أصله اللُّغوي: مأخوذ من جدَّد الشيءَ، وتجدَّد الشيءُ، إذا صيَّره جديداً أو صار جديداً، والتجديد فيه طلب واستدعاء، إذ التاء للطلب، فيكون تجديد الشيءِ يعني طلب جِدَّتِه بالسعي والتوسّل إلى ما يجعله جديداً، والجديد نقيض الخَلَق والبِلى، وضدّ القديم بمعنييه: القديم زماناً، والقديم بقاءً، وهو التقادم، فيُقال: بلي بيت فلان ثمّ أجَدَّ بيتاً مِنْ شَعْر... ويُقال لليل والنهار: الجديدان؛ لأنهما لا يبليان أبداً.

ومن معاني التجديد في أصل اللُّغة: التعظيم والإجلال، ومنه قوله تعالى: **﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجن:3**، أي عظمته وجلاله وغناه. ومن معانيه كذلك الوسطية، ويقولون: جادّة الطريق أي سواء الطريق ووسطه.[2]

من خلال هذه المفاهيم اللغوية المتعددة تتجلي إلى الأذهان حقيقة لابد أن تُعلم، وهي أن التجديد ليس كما يُفهم غالبا بأنه إلغاء ما هو قديم والاعتماد على ما استحدث، وكأن بعضهم يفهم من التجديد هو التبديل أو إبدال ما كان قديما؛ لأنه لا يتماشى مع روح العصر بجديد يتناسب مع تغيره وتطوره.

"فالتجديد يأتي أحيانا بمعنى الترميم أي إصلاح ما اختل من الشيء، وأنَّ ذلك الشيء قد أُعيد إلى مثل الحالة الأولى التي كان عليها قبل أنْ يبلى وَيَخْلَق".[3]

وأيضا يأتي بمعنى التعظيم، وكذلك الوسطية، –إذاً– لا يستلزم من مفهوم التجديد إقامة شيء جديد على أنقاض القديم، ولا يعني رفض القديم كله بحسبان نفود صلاحه، وأنه صار سلباً غير نافع يجب إلغاؤه والإتيان بجديد مغاير منقطع عنه أصلاً ووصفاً. ولكن حقيقة ما يعنيه التجديد هو إعادة الأمر إلى ما كان عليه أولاً، وهو نوع من الإجلال لذلك الأمر وتعظيم له، على خلاف ما يعتقده كثير من سامعي هذا المصطلح ومطلقيه.

من خلال هذا التوجيه اللغوي فيما سبق لمصطلح التجديد يكون المدخل لصياغة المفهوم الخاص به، وارتباطه بعلاقة دراسة الحدث النبوي العظيم المتمثل في سيرته العطرة.

فالتجديد بمعناه الاصطلاحي أو الشرعي –أي ربط التجديد بالشريعة الإسلامية والدين الإسلامي– هو: "إحياء وبعث ما اندرس منه –أي الإسلام–، وتخليصه من البدع والمحدثات التي أضيفت له، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها"، فعلى هذا المعنى فإن التجديد لا يقع على ذات الدين، وإنما يقع على علاقة الأمة بالدين ومدى الانضباط به والتفاعل معه.[4]

ولقد استخدمت كلمة جديد – وليس لفظ التجديد–في القرآن الكريم بمعنى البعث والإحياء والإعادة –غالبًا للخلق–، وكذلك أشارت السنة النبوية لمفهوم التجديد من خلال المعاني السابقة في كلام النبي صلى اله عليه وسلم **(إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)**،[5] فهذا الحديث جعل التجديد سنة من سنن الله وقانوناً من قوانين الفكر الإسلامي. فالتجديد الوارد في الحديث هو تجديد لفروع الدين التي مصدرها النصوص الظنية الورود والدلالة مقيدا بأصوله التي مصدرها النصوص اليقينية الورود القطعية الدلالة، ويترتب على هذا أن التجديد المذكور في الحديث لا ينطبق على أصول الدين وممكن من خلال ما سبق أن يُختصر مفهوم التجديد في نواحي أو أسس أربع وهي: **الإحياء** والبعث، والإعادة، والتغيير من حيث المفاهيم التي لا تُغير من جوهر الأصول شيئا.

ثانيا: مفهوم المقاصد

تعريف المقاصد لغة:

المقاصد جمع مقصد، وهي مشتقة من الفعل قصد، وكلمة المقاصد عند أهل اللغة العربية بمعان عديدة، من هذه المعاني:

1– استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ **[النحل: 9]**.

2– العدل والوسط بين الطرفين: وهو ما بين الإفراط والتفريط، والعدل والجَور، **ومنه قوله تعالى:** ﴿**وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ**﴾ **[فاطر: 32]**.

3– الاعتماد والاعتزام وطلب الشيء وإثباته: تقول: (قصدت الشيء، وله، وإليه قصدًا).[6]

تعريف المقاصد اصطلاحًا:

عُرفت المقاصد عند علماء الاصطلاح بعدة تعريفات ولكن هذه التعريفات لم تختلف مع تنوع ألفاظها في المفهوم، وقد أوضح أصحابها بأن المقاصد تعني المعاني، والحكم، والغايات والأهداف، والأسرار والمألات التي قصدها واضع الشرع الحكيم لتحقيق سعادة الإنسان ومصلحته في الدارين الدنيا والآخرة.[7]

ثالثا: مفهوم التجديد المقاصدي

بناء على ما سبق فإن مفهوم التجديد المقاصدي يجمع ما بين خصائص المصطلحين وما يعنيه هذا التركيب الإضافي بين الكلمتين من "إعادة النظر في مصادر الهداية وقراءتها قراءة المتدبر المستهدي المستفيد من المعاني والحكم والغايات والمألات العازم على توظيف الماضي لإصلاح الحاضر واستشراف المستقبل لبنائه وتأسيسه على هذا البناء المتواصل"[8]

فمن خلال ما اتضح من المعنى المنشود للتجديد المقاصدي فإنه ينبغي التوجه إلى السيرة النبوية بهذه القراءة المتجددة لاستنتاج أهم الحكم والمعاني والغايات المستخرجة من خلال التدبر في سيرة خير الأنام ﷺ لتكون هذه الحكم بلسما وعلاجا لواقع الحياة المتجدد فإن حياته ﷺ أنموذجا متكاملا يعاش في أكناف ذكرياته ووقائع أحداثه على الرغم من اختلاف العصور الحاضرة وأدواتها لو قارناها على سبيل المثال بعصره ﷺ، فبهذه النظرة الثاقبة المستمدة من الماضي لتوظيف ما تجدد من قراءة لإصلاح الحاضر واستشراف بناء المستقبل به تجعلنا نحيا بحياته ﷺ فنحن نريد أن نعيش حياة النبيﷺ وليس عصره فحياة النبيﷺ هي أخلاقه ورحمته ومعاملاته أما العصر فهو يتغير ويتطور باستمرار، بهذا الفهم فقط سندرك معنى قوله تعالى ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: 7] هو فينا لأننا نجد في حياته ما يحقق النجاح والسعادة لذلك فقد عُرضت السيرة النبوية في المائة سنة الأخيرة على أنها السيرة التنظيمية العسكرية الحركية السرية وأن هذا التقديم هو أحد الأسباب في ظهور العديد من الأفكار والتيارات العنيفة والمتطرفة، كما أن هذه القراءة جعلت السيرة بعيدة عن حياة الناس، وأماتت مفهوم الإنسانية المتمثل في الخير والجمال والحب، وكذلك أماتت مفهوم الرحمة للعالمين الذي هو صلب الرسالة النبوية الشريفة **{وَمَآ أَرۡسَلۡنَاكَ إِلاَّ رَحۡمَةً لِّلۡعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]**.

فأغلب الكتب التي كتبت في السيرة في المائة سنة الأخيرة لم تقدم فكرة أن السيرة حياة... مما كوّن انطباع لدى المسلمين أن القراءة السياسية والعسكرية هي فقط سيرة النبي فمثلاً نجد أنهم يقدمون السيرة في المدينة على أنها مجموعة من الغزوات، في حين أن النبي عاش بالمدينة عشر سنين، بينما عدد الغزوات التي غزاها النبي سبع وعشرون غزوة على الأغلب.

إذا حسبنا عدد أيام القتال والسفر والأعداد لهذه الغزوات السبع وعشرين ستجد أنها في المتوسط تحتاج إلى عشرين يوما في المتوسط لكل غزوة أي حوالي خمسمائة وأربعين يوما، أي سنة وخمسة أشهر تقريباً.

فأين باقي العشر سنين؟ لقد قضاها النبي كلها في إعمار الأرض والبناء والعمل والإنتاج والتعليم لهذه الأمة، فكيف اختزلنا سيرة النبي ﷺ هذا الاختزال المخل؟ وأين الجهود المخلصة لإظهار الجوانب الحياتية المشرقة في حياة النبي؟".[9]

المحور الثاني مفهوم مصطلح السيرة ودلالاتها المقاصدية

أولا: مفهوم السيرة النبوية

تعريف السيرة لغة: هي السنة، والطريقة، والحالة التي عليها الإنسان.[10]

السيرة اصطلاحاً: هي حياة الرسول محمد ﷺ، منذ ولادته إلى حين وفاته، وتتضمن نشأته، وحياته وأعماله، ومعجزاته، وأخلاقه، وجميع سائر حياته ليلاً ونهاراً، مستيقظاً أو نائماً، مريضاً أو صحيحاً، وتبدأ منذ ولادته في ربيع الأول من عام الفيل، إلى حين وفاته في السنة العاشرة للهجرة، سواء كان في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة، إلا أن أهل السير ضموا إلى سيرته العطرة ما قبل ولادته –ﷺ– لأن له ارتباطا بسيرته من وجهين:

1– وصف الحالة قبل مولده ومبعثه لينظر ما كان فيها من انحراف في الاعتقاد وانحلال في السلوك، وكيف آلت الأمور بعد ذلك.

2– لوجود بعض الإرهاصات والعلامات والبشارات ذات الصلة بمولده.

ومن هنا قسم العلماء سيرته – ﷺ – إلى ثلاثة أقسام، هي:

1– المبتدأ: والمراد به مبتدأ العالم من خلق آدم والرسالات من بعده، وقصص السابقين من الأمم الغابرة.

2– المبعث: والمراد به ما كان قبل مبعثه من المولد والرضاعة والنشأة قبل البعثة ومن ثم بعثته على هجرته ﷺ.

3– المغازي: وهي التي تشكل جزءاً كبيراً من السيرة في الفترة المدنية.[11]

ثانيا: السيرة واشتقاقاتها اللغوية وما تحتويه من دلالات مقاصدية

السيرة مشتقة من جذرها سَيَرَ وهذا الجذر له من الاشتقاقات ما يحمل دلالات مقاصدية حول السيرة النبوية.

أولا: السيرة ومعناها الهيئة والحالة أو الطريق

ثانيا: السَّيْر وهو تتابع الذهاب من غير انقطاع

ثالثا: السّرور وهو الفرح

رابعا: السِّر وهو ما خفي

خامسا: السُّرة أي قلب الشيء فعن ابن عباس أصل طينتة ﷺ من سرة الأرض

سادسا: السّرَوْ كشف الشيء عن الشي

سابعا: السّيَرَاء وهو الذهب والحرير[12]

توجيه هذه الاشتقاقات اللغوية إلى مقاصد علمية

السيرة وهي الهيئة والحالة والطريق، ولما كانت جوانب حياته ﷺوتفاصيلها كلها لنا مهمة كانت ميدانا للمسير الفكري والقلبي والروحي، فهي أي سيرته بمثابة سُرّة الشيء فهي القلب النابض في سرائر المسلمين بحياة النور والإيمان ،ودراستها محل السّرَو للعقل حيث ينكشف له عن معاني وحقائق كماله ﷺ، فينزل بالقلب **السرور** بما يحصل له من أنس الاقتداء والتأسي به في قراءة سيرته ﷺ، وهنا تتهذب النفس بتشرب طباعه ﷺ فتصبح **كالسيراء** ذهبا خالصا لا يتغير ولا يتأثر بتغير الأحوال، فهي ثابتة وراسخة هذه النفس على مبادئ خلقه ﷺ لا تتزحزح ولا تتبدل، وكالحرير في الليونة والمرونة في الأخلاق فالمؤمن هين لين بعيد عن قسوة القلب وغلظة الطباع وقسوتها.

وبهذا تتحقق في الإنسان المسلم مقاصد الهوية المحمدية في هيأته وطريقته وسيرته.

ثالثا: مقارنة مقاصدية بين مفهوم السيرة والقصة والمناسبة.

القصة من القص وهو القطع والتتبع **(فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[سورة الكهف: 64] (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (القصص: 11)**،[13] وسميت دراسة الحدث التاريخي لأي شخصية كانت أو لأشخاص بالقصة؛ لأنه تتبع لفقرات هذا الحدث ودراستها، حيث تقتص المشاهد المهمة التي تتعلق بشخصية صاحب القصة، والتي لها تأثير على حياة القارئين أو السامعين، ولهذا نجد في القرآني قص علينا من قصص الأنبياء الجوانب المهمة فقط ولم يذكر لنا كل حياتهم وما دار حولها من أحداث، وإنما اقتص بعض من مشاهد حياتهم وترك ذكر الباقي الذي ليس في سرده أهمية، بينما نجد حياة النبي ﷺ دونت بما فيها من تفاصيل دقيقة، فلم تهمل أو تترك لحظة من حياته وذلك من مولده إلى ساعة انتقاله للرفيق الأعلى، فلم يغب منها شيء؛ لأن كل مراحل حياته هي أمر مهم وشأن عظيم لكل البشرية، فناسب أن تكون حياته أبلغ من أن تسمى قصة فهي بهذا المعنى أن سيرته ﷺ هي السّرة التي يدور عليها حدث التاريخ، وبالتالي كان قرنه من أفخر القرون وأحسنها سابقا ولاحقا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ من خيرِ قرونِ بني آدم، قرنًا فقرنًا، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ فيه**».[14]

المحور الثالث: أهم المفاهيم المقاصدية في دراسة السيرة النبوية

مما لا يخفى على كل باحث مهتم بشؤون أحداث السيرة النبوية أنها ثرية وغنية بالملامح المقاصدية، كيف لا وهي السيرة التي تزخر بأروع الأمثلة في القيم الإنسانية، ولذا نجد عددا من الدراسات في كل عصر قد استخرجت عدة مقاصد علية، التي هي منار هدى لذلك الجيل بما تجدد في فكر أعلامه من خلال دراسة السيرة النبوية الرؤى المقاصدية والتي تناسب في علاجها تحديات ذلك الواقع. لهذه الأمة مهما طال بها الزمن وتطورت بها الحضارات فهي تعطي للفكر الإنساني بمقاصد متجددة تُناسب ما توصلت له الحضارات الإنسانية من تطور، ولذا نجد من أهم مقاصد دراسة سيرة الرسالة المحمدية هي:

1- **الاقتداء**: أن الرسول –ﷺ– هو محل القدوة والأسوة، وهو المشرع الواجب طاعته وأتباعه، قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** [(21) سورة الأحزاب]،

2- **زيادة الإيمان**: ليزداد إيماننا ويقيننا بصدقه، فالوقوف على معجزاته ودلائل نبوته مما يزيد في الإيمان واليقين في صدقه –ﷺ–، فدراسة سيرته العطرة وما سطرته كتب السيرة من مواقف عظيمة وحياة كاملة كريمة تدل على كماله ورفعته وصدقه.

3- **فهم شخصية الرسول والتعرف عليه من خلال حياته وظروفه، وأخذ الدروس والعبر**. وبهذا الفهم نعرف كيف نتعامل مع العالم المحيط بنا، فالسيرة النبوية العاطرة ليست مجرد أخبار وقصص بل منهج حياة ينبغي أن يكون هادياً لنا في كل تعاملاتنا مع أزواجنا وأبنائنا وخدمنا وأصدقائنا وكل ما ومن يحيط بنا من دوائر وصلات تعامل مع البشر والشجر والحجر. ولكم في وصف السيدة عائشة رضي الله عنها لواقع وجود الحبيب في بيته: "**قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ**"[15] وقول سيدنا أنس رضي الله عنه:" **خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ لاَ وَاللَّهِ مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ وَلاَ قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ لِمَ فَعَلْتَهُ وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ أَلاَّ فَعَلْتَهُ**"،[16] أنموذجاً لمنهج متكامل في التعامل.

4- **تجسيد التطبيق السوي للمنهج النبوي**، وذلك من غير إفراط ولا تفريط، ومن الناس من يظن بأن التطبيق المثالي للدين يتمثل في الإفراط والتشديد في العمل به والابتعاد عن مظاهر الحظوظ الدنيوية مما أباحه الله عز وجل وهذا السلوك مجانب للصواب ومخالف لما عليه سماحة وسهولة وسلاسة ما كان عليه منهج النبي ﷺ في الأخذ بالأيسر من غير تفريط في الأعمال التكليفية فقد روى أنس بن مالك – رضي الله عنه – **أنه قال: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم– يسألون عن عبادة النبي –ﷺ–، فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها [أي: عدُّوها قليلة]، فقالوا: أين نحن من النبي –ﷺ–؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال**

أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا [أي: دائما دون انقطاع]، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر [أي: أواصل الصيام يومًا بعد يوم]، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله –ﷺ– فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".[17]

5- **المحبة التي تحفظ وتعصم من الانحراف الفكري والخلو القلبي** من هذه المحبة الواجبة، وذلك متمثل في تطبيق منهج السنة مع ارتباطه باستحضار صورة شخص النبي ﷺ تصحبه مشاعر المحبة الواجبة له ﷺ فإذا خلا تطبيق هذه المنهج من هذا الاستحضار لشخصه مع محبته فإنه بقع الخلل في أداء السنة النبوية وينحرف الفكر إلى مهاو وضيعة في حال تطبيق التعاليم، ويصبح الأداء منحصرا في الظاهر فقط دون الباطن فيكون خاويا من روح معاني المحبة والإيمان، وهذا هو العنصر الأساسي لحفظ السلوك وعصمة الفكر من الانحراف وإذا تتبعنا مشاهد سيرتهﷺ بقراءة متمعنة في هذا الجانب يتبين بأن داء التشدد والتزمت والتنطع الذي ابتلى به كثير ممن يتظاهرون باتباع سنته ﷺ سببه الرئيسي أن تطبيقهم العملي لمظاهر التدين خلا من روحه وهو عدم مصاحبة استحضار صورتهﷺ في الباطن مقترنة بمشاعر محبته ويشهد له ذلك حديث ذي الخويصرة يقول: "أبوسعيد الخدري **بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ –وهو رَجُلٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ– فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، فَقالَ: ويْلَكَ! ومَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قدْ خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ....**[18]"، هذا الرجل ظاهر التدين والالتزام إلا إنه خلا باطنه من صورة التعظيم والتوقير والمحبة للنبي صلى الله عليه وسلم فانحرف فكريا وسلوكيا وأخلاقيا وسولت له نفسه بأن يتهم النبي ﷺ بعدم العدالة ولو كان يملك في قلبه مثل هذه الصفات من التوقير والتعظيم عملا بقوله ﴿**وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾(الفتح :9) ما كان ليتجرأ على مثل ما تجرأ عليه من قوله لرسول الله اعدل فإنك لم تعدل ،ومما يؤكد أيضا بأن داء التدين سببه عدم عمار الباطن بصورة مثال شخصه مع التعظيم والمحبة ذكرهﷺ وتشخيصه لحال أمثال هؤلاء عندما علل داءهم بقوله في بقية الحديث:"... **فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لي فيه فأضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقالَ: دَعْهُ، فإنَّ له أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**"[19] ومعنى قوله: **(يحقر أحدكم صلاته)** أنهم أكثر التزاما واجتهادا في العبادة من غيرهم بحيث لو أن أحدا قارن عبادته بعبادتهم لاحتقر قلة عمله في جانب كثرة اجتهادهم إلا أن هذه الكثرة العملية في الجوارح لا أثر لها في تنوير بواطنهم حيث يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ لأن عنصر التنوير في بواطنهم مفقود ولم يجعلوه محل

اهتمامهم وهو التعلق بصاحب المنهج محبة وتوقيرا ليستتم الاقتداء به ظاهرا وباطنا فيتحقق اعتدال السلوك والفكر في تطبيق سنته ﷺ بعيدا عن التزمت والتنطع والتشدد.

6- **التذكير بأن لنا رسالة تجاه العالم ككل، شعارها (الرحمة للعالمين)** لأن رسالته ﷺ هي هداية الإنسانية إلى سبيل الرحمة، وهذا المقصد من أبلغ ما وصف به ﷺ حيث قال ربنا تعالى **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** [سورة الأنبياء الآية: 107]، فبتحققه فيه خلاص للبشرية جمعاء منذ بعثته ﷺ إلى قيام الساعة، ويؤكد رسول الله ﷺ هذا في الحديث النبوي الشريف عندما يقول **(إنما أنا رحمة مهداة)**.[20]

7- ولذا نجد مظاهر الرحمة تتمثل في كل تفاصيل حياته ﷺ وهي أساس صبغة التعامل بين أفراد المجتمع المسلم حيث جمع الله سبحانه وتعالى في نبيّه محمد ﷺ صفات الجمال والكمال البشري، وتألّقت روحه الطاهرة بعظيم الشمائل والخِصال، فمن سمات الكمال التي تحلّى بها –ﷺ– خُلُقُ الرحمة والرأفة بالغير، فقد وهبه الله قلباً رحيماً، يرقّ للضعيف، ويحنّ على المسكين، ويعطف على الخلق أجمعين، حتى صارت الرحمة له سجيّة، فشملت الصغير والكبير، والقريب والبعيد، والمؤمن والكافر، فنال بذلك رحمة الله تعالى، **(فالراحمون يرحمهم الرحمن)**.[21]

8- وهذه الرحمة أكثر ما يحتاج لها الناس هذه الأيام والتراحم فيما بينهم، فالرحمة والتراحم أجمل شيء في الحياة، لو دخلت قلوبنا وأدخلناها في حياتنا وبيوتنا صلُحت أمورنا كُلّها، وعشنا أسعد حياة، وأحلى حياة. والتراحم هو وصف للمجتمع المسلم، وصف الله به أهلا لإيمانكما قال: **﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** (الفتح: 29).

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج التي توصل لها هذا البحث وهي:

1. أن التجديد ليس كما يفهم غالبا بأنه إلغاء ما هو قديم والاعتماد على ما استحدث فالتجديد بالشريعة الإسلامية هو: "إحياء وبعث ما اندرس منه –أي الإسلام، وتخليصه من البدع والمحدثات التي أضيفت له، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها"، فعلى هذا المعنى فإن التجديد لا يقع على ذات الدين، وإنما يقع على علاقة الأمة بالدين ومدى الانضباط به والتفاعل معه.
2. ينبغي التوجه إلى السيرة النبوية بقراءة متجددة لاستنتاج أهم الحكم والمعاني والغايات المستخرجة من خلال التدبر في سيرة خير الأنام ﷺ لتكون هذه الحكم بلسما وعلاجا لواقع الحياة المتجدد.
3. أغلب الكتب التي كتبت في السيرة في المائة سنة الأخيرة لم تقدم فكرة أن السيرة حياة، مما كوّن انطباع لدى المسلمين أن القراءة السياسية والعسكرية هي فقط سيرة النبي ﷺ حيث يقدمون السيرة في المدينة على أنها مجموعة من الغزوات.. في حين أن النبي عاش بالمدينة عشر سنين، بينما عدد الغزوات التي غزاها النبي سبع وعشرون غزوة على الأغلب، إذا حسبنا عدد أيام القتال والسفر

والأعداد لهذه الغزوات السبع وعشرين ستجد أنها في المتوسط تحتاج إلى 20 يوم في المتوسط لكل غزوة أي حوالي 540 يوم أي سنة وخمسة أشهر تقريباً، وأما بقية السنوات فقد قضاها النبي كلها في إعمار الأرض والبناء والعمل والإنتاج والتعليم لهذه الأمة

4. إن سيرته ﷺ لم يهمل منها شيء؛ لأن كل مراحل حياته هي أمر مهم وشأن عظيم لكل البشرية، فناسب أن تكون حياته أبلغ من أن تسمى قصة فهي بهذا المعنى أن سيرته ﷺ هي السّرة التي يدور عليها حدث التاريخ وبالتالي كان قرنه أفخر القرون وأحسنها سابقا ولاحقا فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ من خيرِ قرونِ بني آدم، قرنًا فقرنًا، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ فيه.**

5. إن السيرة النبوية تتميز بالعطاء الدائم والزاخر لهذه الأمة مهما طال بها الزمن وتطورت بها الحضارات فهي تعطي للفكر الإنساني بمقاصد متجددة تُناسب ما تتطور تله الحضارات الإنسانية، ومن أهم هذه المقاصد العامة، 1-الاقتداء، 2-زيادة الإيمان 3-فهم شخصية الرسول والتعرف عليه. 4-تجسيد التطبيق السوي للمنهج النبوي وذلك من غير إفراط ولا تفريط، 5-المحبة التي تحفظ وتعصم من الانحراف الفكري والخلو القلبي، 6-التذكير بأن لنا رسالة تجاه العالم ككل، شعارها (الرحمة للعالمين).

الهوامش:

1. تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، باب ما جاء في فضل القرآن (175/8) بيروت: دار الكتب العلمية.
2. ينظر: لسان العرب لابن منظور، (3/ 108) ط1، بيروت: دار الجيل، 1997. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، (1/ 245.244). تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ/1979م.
3. انظر:: مفهوم تجديد الدِّين بسطامي محمد سعيد (ص 14 - 15.)، ط1، الكويت: دار الدعوة، 1405هـ، 1984م، ص14 - 15.
4. ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للآبادي:، دار الفكر، 1979م، 11/ 391.
5. أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم برقم 3740. وقال العلقمي في "شرح الجامع الصغير": "اتفق الحُفَّاظ على أنه حديث صحيح
6. لسان العرب، ابن منظور، مادة: قصد (3/ 96).
7. ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية -ابن عاشور (165/3)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1425هـ-2004م. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي الدار البيضاء: دار الغرب الإسلامي، 1993م، ص3.
8. ينظر: الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي، طه جابر العلواني، بيروت الناشر: دار الهادي، 2003، ص226.
9. https://www.alsirah.com/ محمد-صلى-الله-عليه-وسلم-كما-يراه-مشاهير
10. لسان العرب المحيط لابن منظور، (3./ 378)، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية. المكتبة الإسلامية، الطبعة الثانية، (1 /467)

11. مدخل إلى فقه السيرة علي بن عمر بادحدح 27 شوال 1428 (2007-11-08) https://midad.com/article/203613
12. ينظر: كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي مادة سير (271/7)، دار ومكتبة الهلال، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، المصباح المنير لأحمد بن الفيومي بيروت: المكتبة العلمية، (299/1).
13. جمهرة اللغة لابن دريد (124/1)، بيروت: دار العلم للملايين، 1987م
14. صحيح البخاري رقم (3557) المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.
15. صحيح البخاري رقم (676).
16. صحيح مسلم رقم (2309) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
17. صحيح مسلم رقم (1401).
18. صحيح مسلم رقم (1064).
19. صحيح مسلم رقم (1064).
20. سنن الدارمي أبي محمد الدارمي (21/1) تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407.
21. سنن أبي داود (703/2) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الفكر

قائمة المصادر والمراجع

1. تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن الباركفوري، بيروت: دار الكتب العلمية.
2. جمهرة اللغة لابن دريد، بيروت: دار العلم للملايي، 1987.
3. الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي طه جابر العلواني، ط1، بيروت: دار الهادي، 2003.
4. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
5. سنن الدارمي، أبي محمد الدارمي تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407.
6. صحيح البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.
7. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
8. عون المعبود شرح سنن أبي داود للآبادي، دار الفكر، 1979م.
9. العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
10. لسان العرب لابن منظور، بيروت: دار الجيل، 1997.
11. مدخل إلى فقه السيرة علي بن عمر بادحدح، 27 شوال 1428 (2007-11-08) https://midad.com/article/203613
12. المصباح المنير لأحمد بن الفيومي، بيروت: المكتبة العلمية.
13. المعجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية.
14. مفهوم تجديد الدِّين بسطامي محمد سعيد، الطويت: دار الدعوة، 1405هـ، 1984م.
15. مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1425هـ/2004م.
16. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. علال الفاسي. الدار البيضاء: دار الغرب الإسلامي، 1993.
17. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ/1979م.
18. https://www.alsirah.com محمد-صلى-الله-عليه-وسلم-كما-يراه-مشاهير.